الفصل الأول
المستوى التركيبي

مدخل :

تقوم الأسلوبية بوصفها منهجاً ذا طبيعة تحليلية ، بمقاربة المستوى التركيبي للنص ، وذلك بغية الوصول الى خصائص البنى التركيبية التي يتشكل منها ذلك النص.

ويتطلب البحث في هذا المستوى الابتعاد عن الدائرة اللسانية من حيث الاهتمام بالجملة مجتزأة من سياقها التركيبي ، أذ أن ((مهمة الباحث الاسلوبي هي دراسة تموضع الجملة في النص ، فضلاً عن تشكلها بصورة معينة ، أي انه يدرس النص في ضوء الجمل الواردة فيه ، او الجمل في ضوء النص باكمله))[١] اما الاهتمام بالجملة بوصفها جملة فهي مهمة الباحث الالسني ، ذلك ان النص او الخطاب يعد وصلاً ممتداً[٢] . وهذا لايعني الاستغناء عن دور النحو ، اذ لايمكن تحديد الاسلوب بوضوح دون الرجوع إلى النحو ... فالاعتماد على المعيار النحوي ضروري في الدراسة الأسلوبية لمعرفة الانزياحات عن النمط التركيبي المألوف[٣] ، كما ان الدراسة الأسلوبية الحديثة اتجهت الى العناية بعلاقة القواعد النحوية بالفن القولي[٤] .إضافة الى دراسة تموضع الجملة – كما ذكرنا – ضمن سياقها او ضمن النص بتمامه، وانطلاقاً من كون التحليل الاسلوبي ((لاتوجد فيه قواعد و (آليات) متحجرة . وطالما انه بالامكان الولوج فيه من عدة مداخل ، اذ يمكن ان يكون المدخل تقنياً يعتمد على الموازنة بين التراكيب التي يضمها النص))[٥] فقد وقع الاختيار على التوازي التركيبي ليكون مبحثاً في دراسة

---

(١)ينظر : شعر محمود حسن إسماعيل ، دراسة اسلوبية ، عشتار داؤد محمد ، رسالة ماجستير :٧٩.

(٢)ينظر : بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن : ١٥٨.

(٣) ينظر : الأسلوبية ، مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، فتح الله احمد سليمان : ٣٧.

(٤) اللغة والإبداع ،مبادئ علم الاسلوب العربي ، شكري محمد عياد : ٤٣.

(٥)ينظر : تحاليل أسلوبية ، محمد الهادي الطرابلسي :٧.

هذا المستوى ، طالما انه ظاهرة أسلوبية بارزة في سورة يس تفرض نفسها على الباحث ، كما وقع الاختيار على التبادل الضمائري نظراً لكونه ظاهرة اسلوبية تبرز في النص من خلال ما تقدمه من تنوع في أساليب التعبير ، واذا كان بالإمكان القول (أن الأسلوبية بلاغة حديثة ذات شكل مضاعف)[1] فان ذلك يسوغ لنا دراسة التبادل الضمائري او الالتفات وتحليله اسلوبياً لذلك ينقسم هذا الفصل على قسمين:

١.التوازي التركيبي

٢.تبادل الضمائر.

([1])الاسلوب والاسلوبية ، بيير جيرو : ٥.

المبحث الاول

التوازي التركيبي

يتجه هذا المبحث الى رصد التوازيات التركيبية بأنماطها المختلفة ، نظراً لكونها ظاهرة اسلوبية بارزة تكاد تشغل البناء التركيبي لسورة يس بتمامه ويعرف التوازي بانه (تنمية لنواة معنوية سلبياً او ايجابياً باركام ...عناصر صوتية ومعجمية وتركيبية ومعنوية وتداولية ، ضماناً لانسجام الرسالة)[١].

والخصوصية الأساسية له انه((تناظر بين الجمل والتراكيب))[٢] ولما كانت الدلالة هي التي تتحكم في تشكل بنى النص على شاكلة معينة ، لذلك كان هذا النوع من التوازي يتشكل وفقاً لما تقتضيه الدلالة ، فكل تغير في نسق التوازي التركيبي انما ياتي لخدمة التوازي الاشمل وهو التوازي الدلالي . وطالما ان الوصل شرط يجب توافره في كل نص ، بوصفه وصلاً ممتداً – كما ذكرنا – فانه قد يتحقق عن طريق التوازي التركيبي على البنيتين السطحية والعميقة [٣] وذلك بتواشجه مع الوصل المتحقق بادأة الربط التركيبية أي العطف او مع الوصل المتحقق على صعيد البنية العميقة الذي يسمى (فصلاً)[٤] إذ ان (الفصل والوصل) يندرجان ضمن مسلمة السمة الوصلية على صعيد البنيتين السطحية والعميقة [٥]. يضاف إلى ذلك ان التوازي التركيبي يكاد يشكل البؤرة التي تتجمع حولها انساق التوازي الدلالي.

---

(١)ينظر : تحليل الخطاب الشعري، محمد فتاح : ٢٥.

(٢)النقد والاسلوبية ،بين النظرية والتطبيق ، عدنان بن ذريل:٢٧٨.

(٣) ينظر :شعر محمود حسن إسماعيل ، دراسة اسلوبية : ٨٠.

(٤) ينظر : سورة الكهف ، دراسة اسلوبية وسن عبد الغني المختار ، رسالة ماجستير : ٨١.

(٥) المصدر نفسه: ٨٢ ، بنية اللغة الشعرية : ١٥٨.

وأول ما نرصده من التوازيات التركيبية في (سورة يس) ما جاء في السياق الذي يرسم مشهداً حسياً لحالة الكفار النفسية ، اذ يصورهم الاسلوب القرآني وكأنهم ممنوعون قسراً عن النظر الى سبيل الهدى ، مغطى على أبصارهم فلا يبصرون[1]. يقول تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ، وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ [2].

فالتوازي التركيبي تحقق بين جملتي (جعلنا في اعناقهم اغلالاً / جعلنا من بين ايديهم سداً) اذ ان الثانية معطوفة على الاولى [3] .

ويمكن توضيح هذا التوازي بالخطاطة الآتية .

جعلنا +	جار مجرور(مفعول به ثان) + ضمير متصل في محل جر بالإضافة + مفعول به أول
	جار مجرور(مفعول به ثان) + مضاف إليه + ضمير متصل في محل جر بالإضافة + مفعول به أول

ومن الواضح ان التوازي يكاد يكون متساوياً بين الجملتين لكن هناك زيادة في تركيب الجملة الثانية على الجملة الاولى . وهذه الزيادة هي المضاف اليه بعد الجار والمجرور . كما ان بنيتي التوازي قد تحققت فيهما خلخلة تركيبية في البنية اللسانية من خلال تقديم الجار والمجرور بوصفهما مفعولا به ثانٍ (في أعناقهم ، من بين أيديهم)على المفعول به الأول (اغلالاً ، سداً) فالتوازي متماثل أذ ان النواة التركيبية تلف البنيتين

([1])ينظر في ظلال الفران:١٢/٧.

([2])سورة يس ، الآيتان : ٨،٩.

([3])الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه :٢٩٢/١١.

بتمامهما[1] بيد ان النواة الدلالية هي المهيمنة على هذا التوازي اذ ان الآتيين تصوران ما في نفوس هؤلاء الكافرين المكذبين من النفور عن الخير[2] ، كما ان سبب نزولهما واحد ، اذ ((روي ان الآيتين نزلنا في بني مخزوم ، وذلك ان ابا جهل حمل حجراً لينال به رسول الله ﷺ وهو يصلي فاثبت يده الى عنقه حتى عاد الى اصحابه والحجر قد لزق بيده فما فكوه الا بجهد ، فاخذه مخزومي آخر فلما دنا من الرسول ﷺ طمس الله تعالى بصره ، فعاد الى اصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه فنزلت الآيتان [3] . أي ان النواة الدلالية شغلت البنيتين ومما زاد في تعزير النواة الدلالية ذلك التراكم الاسلوبي المتجنيد في التعالق التركيبي ف ي(اعناقهم / فهم / ايديهم / خلفهم / اغشيناهم / فهم ، يبصرون) التي تحيل كلها الى هؤلاء الكفار الممنوعون من الهداية بسبب تلك الحواجز والسددود المعنوية . ففي تراكم الضمير (هم)زيادة في السخرية من هؤلاء المكذبين.

ونرصد عدداً من التوازيات التركيبية اذا ما انتقلنا الى قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ ، إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ، قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ، قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ، وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ ، قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [4].

([1])ينظر : سورة الكهف ، دراسة أسلوبية : ٨٦.

([2])ينظر التحرير والتنوير:٢٢/٣٤٩.

([3])ينظر:زاد المسير،ابن الجوزي:٧/٦-٧، التفسير الكبير،فخر الدين الرازي:٢٦/ ٤٤.

([4])سورة يس ، الآيات : ١٣ – ١٨.

فاول تشكل للتوازي التركيبي نجده بين (اذ جاءها المرسلون/ اذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث).

ويمكن اختزال هذا التوازي على النحو الآتي:-

ظرف للزمان الماضي + فعل ماض + مفعول به ضمير متصل + فاعل مرفوع

ظرف للزمان الماضي + فعل ماض + فاعل ضمير متصل + جار ومجرور + مفعول به ...

ويمكن تسمية هذا النوع من التوازي بالتوازي المتشابه اذ اختلفت بعض بنيته وبعض معناه [1] ، ومن الملاحظ في هذا التوازي وجود زيادة تركيبية في الطرف الثاني للتوازي مما يسفر عن زيادة دلالية مشابهة اذا ان كل زيادة في المبنى تقابلها زيادة في المعنى ، فتحققت بذلك زيادة تركيبية بيد ان التركيب يوحي للمتلقي بوجود معاكسة دلالية ، وذلك ان التتابع الزمني يدل على ان الدعوة بدأت برسولين وعندما كذّبا أرسل الرسول الثالث لتعزيزهما ، وهذا ما يدل عليه السياق ايضاً . أذ ان جملة (اذ ارسلنا) هي بدل من جملة (أذ جاءها) تفصيلاً لذلك المجئ [2] . أي ان الثانية سابقة للاولى زمنياً ، اما التشكل الثاني للتوازي التركيبي فنجده ضمن التتابع الوصلي عن طريق العطف (فكذبوهما / فعززنا) ويمكن اختزال هذا النوع التوازي على النحو الآتي:-

اداة عاطفة + فعل ماض + فاعل ضمير متصل + مفعول به ضمير متصل

↓ ↓ ↓ ↓

اداة عاطفة + فعل ماض + فاعل ضمير متصل

([1])سورة الكهف ، دراسة اسلوبية : ٩٧.

([2])ينظر : نظم الدرر في تناسب الايات والسورة ، البقاعي: ١٠٤/١٦.

ومن الواضح في هذا التوازي ان البنية الثانية قد فقدت احد أركانها وهو المفعول به اذ ان التقدير (فعزناهما) وبهذا تحققت تقنية اسلوبية وهي(الافتقار التركيبي) والذي يعني ((افتقار ركن او اركان رئيسه في تركيب الجملة))[١] فالمفعول به المحذوف ركن رئيس في الجملة بيد ان السياق قد دل عليه الا ان هذا الافتقار التركيبي له مسوغه الأسلوبي اذ أن الغرض هو ذكر المعزز به ، واظهار الاقتدار على إيقاع الفعل وتصريفه في كل ما اريد له [٢]

ونرصد في السياق توازيا تركيبيا آخر بين (انا إليكم مرسلون) و(انا اليكم لمرسلون) والذي سوغ لنا ان نعده توازيا وليس تكرارا هو ان التكرار يتحقق بموجبه تطابق صوتي تام على الرغم من انه يمثل أقصى درجة من درجات التوازي[٣] ويمكن اختزال هذا التوازي على النحو آلاتي.

حرف مشبه بالفعل + اسمها ضمير متصل + جار و مجرور + خبر مرفوع
في محل نصب متعلق بالخبر

ومن الواضح ان هذه النواة تركيبية شغلت البنية الاولى بتمامها ولذلك فالأولى هي نواة تركيبية للثانية. اذ تحقق في البنية الثانية تصاعدا تركيبيا بزيادة حرف وهو (لام التوكيد) بيد ان هذه الزيادة لها مسوغها الاسلوبي طالما ان الجملتين في سياق حواري بين الرسل واهل القرية المكذبين " (فالجملة الحوارية تختار من أساليب الكلام

([١])شعر محمود حسن اسماعيل ، دراسة أسلوبية:٩٣.

([٢]) ينظر :نظم الدرر:١٠٥/١٦ الجدول في إعراب القران:٢٩٦/١١.

([٣]) شعر محمود حسن إسماعيل ، دراسة اسلوبية:٣١ .

وتراكيبه ما يناسب حال المتلقي فتؤكد الكلام لمن يشك ، وتزيد التأكيد للمنكر الجاحد ، وكلما زادت درجة الإنكار زادت عوامل التوكيد) [١] .كما ان التوازي بين الجملتين هو تواز دلالي أيضا اذ انهما تحملان الدلالة نفسها ولكن بدرجة متفاوتة . وهـذا التفـاوت تاتى من كون التركيب "الاول ابتداء اخبار ، و الثاني جواب عن انكار" [٢] .

وفي القصة نفسها يطالعنا تشكل آخر للتوازي التركيبي في سياق الحوار الـذي يصور موقف القلوب المقفلة من دعوة الرسل وهذا التوازي يتحقـق بـورود جملتـي الاستثناء (ما انتم الا بشر مثلنا) و(ان انتم الا تكذبون) . ويمكن اختـزال التـوازي بالخطاطة آلاتية

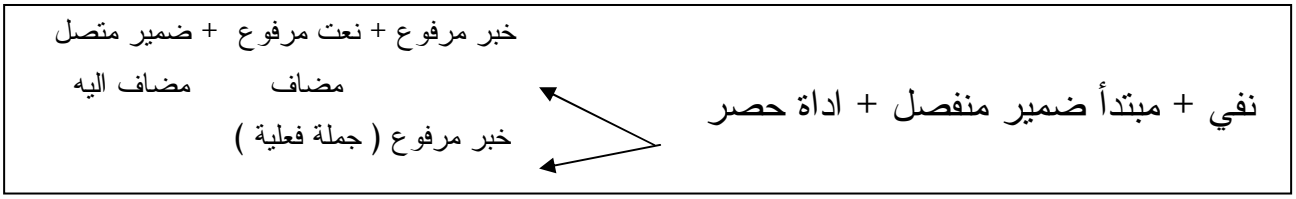

فالجملتان جاءتا بأسلوب القصر لكن الجملة الاولى قد زادت على الثانية تركيبيا ويلحظ في الجملة الاولى ان اهل القرية قد وصفوا الرسل بأنهم بشر والرسول لا ينبغي ان يكون كذلك بزعمهم وكأنه لا بد ان يكون ملكا فلذلك بدا الأسلوب بالنفي ، نفـي أي فضل لهؤلاء الرسل و اثبات انهم بشر مثلهم تماما ، ولما كان الرسل لا يجهلون انهـم بشرا في انفسهم ولا ينكرون ذلك ، فاعتقاد الكافرين ان الرسول لا يكون بشرا حملهـم على قلب الكلام وقصروا الصفة على الموصوف خلافا لواقـع الحـال وهـو كينونـة

---

(١) اسلوبية الحوار في القران الكريم:رسول حمود الدوري ، رسالة دكتوراه : ٦٦.

(٢) الكشاف ، الزمخشري:٤/٩.

الرسول بشرا من البشر[١] ، فالاحتجاج بإثبات صفة البشرية للرسل بني عليه انكارهم محاولين بذلك إفحام الرسل [٢] .

أما البنية الثانية للتوازي فجاءت نتيجة للأولى . (وكانهم ينزلون بالرسل عن ذلك المستوى اذ ينفون عنهم صفة الصدق ويثبتون لهم الكذب) [٣] وهذه نتيجة خاطئة وان كانوا يرونها نتيجة منطقية ويمكن القول ان بنيتي التوازي قد شكلتا بناءً هرميا لافكار هؤلاء المكذبين ولا سيما اذا عدنا الى الجملة التي تقع بينهما و المعطوفة على الاولى وهي (وما انزل الرحمن من شيء) اذ نفوا ان يكون الله تعالى قد انزل على الرسل شيئا بأسلوب القصر ايضا [٤] . وبذلك تكون البنية الثانية قمة البناء الهرمي لافكار أصحاب القرية المكذبين وقمة بنيتي التوازي ولاسيما ان التركيب جاء بأسلوب القصر الذي يعد طريقا من طرق الإيجاز في التعبير[٥] واذا كان التوازي قد تحقق في البنيتين فمن الممكن ان تاتي في السياق بنية ثالثة موازية طالما ان النواة التركيبية تكاد تكون واحدة وهذا ما نجده في قوله تعالى على لسان الرسل في الرد على المنكرين (وماعلينا الا البلاغ المبين)[٦] . فعاد اسلوب القصر مرة اخرى بيد انه هنا قصر حقيقي فما على الرسل بجانب الرسالة الا البلاغ المبين[٧] ونلاحظ ان اسلوب القصر قد شكل ظاهرة أسلوبية وهو اسلوب في التعبير اكثر دلالة على الإحاطة

---

(١) البنى والدلالات في لغة القصص القراني :دراسة فنية،عماد عبد يحيى ، رسالة دكتوراه : ١٧٣

(٢) ينظر : تفسير سورة يس ، محمد بن صالح العثيمين : ٥٠.

(٣) تأملات في سورة يس قلب القرآن ، حسن محمد باجودة : ٣٤ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه:٣٤ .

(٥) المعاني في ضوء أساليب القرآن ، عبد الفتاح لاشين : ٢٦٨ .

(٦) سورة يس الآية : ١٧.

(٧) ينظر : تفسير سورة يس:٥١.

والشمول الا ان هذه البنية الثالثة قد أحدثت خلخلة تركيبية من خلال تقديم الخبر المحذوف على المبتدا (البلاغ) فكانت درجة التوازي فيها اقل من سابقتها.

ولننتقل إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ [1].

في السياق اكثر من تشكل للتوازي كما في توازي (وما انزلنا ، وما كنا ..) وبين (على قومه من بعده) بصيغة (جار و مجرور + ضمير متصل في محل الجر) وبين (من جند ، من السماء) بصيغة (جار ومجرور) فتكرار التركيب النحوي او ما يسمى بالإيقاع النحوي هو الذي أدى إلى تشكل هذه التوازيات[2]. ومن الملاحظ في السياق تراكم حرف الجر (من) لكن مع اختلاف المعنى اذ ان الأولى ابتدائية للزمان و الثانية زائدة للتوكيد ، والثالثة ابتدائية للمكان[3] ، وفي الاتيان بحرف ،(من) ثلاث مرات مع اختلاف المعنى تقوية المعنى للدلالة . وبعد هذه التوازيات يطالعنا في الآيات الكريمة توازيا أخرا و لكنه لا يقوم على الاتفاق بين البنيتين في نواة تركيبية واحدة ، بل هو متشكل من تكرار الاسلوب نفسه في التعبير وهذا ما نجده في قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ، يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ﴾ [4] .

([1]) سورة يس ، الآية:٢٨.

([2]) ينظر : مدارات نقدية ، فاضل ثامر : ٢٣٦ .

([3]) ينظر : التحرير و التنوير : ٢٣ / ٦ .

([4]) سورة يس ، الآيتان : ٢٩ – ٣٠ .

يخبر تعالى ان انتقم من أصحاب القرية بعد تكذيبهم الرسل و قتلهم الرجل الصالح اذ بعث عليهم جبريل – عليه الصلاة و السلام – فصاح بهم صيحة واحدة اهلكتهم[١] ثم جاء التأسيف عليهم وعلى من شابههم وهو رثاء للامم المكذبة للرسل [٢].

ومن الملاحظ استخدام أسلوب القصر في الآيتين و ذلك عن طريق النفي مع اداة الحصر (الا) اذ يمكن ان يعد ذلك توازيا تركيبيا تراكميا ، ولما كان انه " بالإمكان تعيين الانزياح بناءا على تكرار تركيب او اسلوب معين الى درجة غير عادية"[٣] فان استخدم اسلوب القصر بكثرة يعد انزياحا ، لكثرة استخدامه في سورة يس – كما لاحظنا في الآيات السابقة – وفي هاتين الآيتين وان مجيء (اذا) الفجائية في الجملة المفرعة على جملة (ان كانت الا صيحة واحدة) افادة سرعة الخمود إليهم بتلك الصيحة [٤] ، اذ انها تدل على تعاقب ما بعدها و ما قبلها مباشرة . فتواشجت (اذا) الفجائية مع اسلوب القصر ، لتعزيز الدلالة. اذ ان المراد تهوين شأنهم باهلاكم بصيحة واحدة ثم زيد في تحقيرهم ببيان الاسراع في الهلاك [٥] .

أما القصر في جملة ﴿ما يأتيهم من رسول الا كانوا ... ﴾ فهو تعليل لما سبقه في قوله تعالى:" يا حسرة على العباد و نداء الحسرة – هنا – من اصعب مسألة في القران لان

---

(١) ينظر تفسير القران العظيم ، ابن كثير : ٣ / ٥٦٩ .
(٢) ينظر: التحرير و التنوير : ٢٣ / ٧٠ .
(٣) اللغة والإبداع : ٨٧ .
(٤) التحرير و التنوير : ٢٣ / ٦ .
(٥) نظم الدرر : ١٦/ ١١٦ .

الحسرة لا تنادى وانما تنادى الأشخاص[١] فكأنما قيل للحسرة تعالي فهذه من أحوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل او ان النداء لمجرد التنبيه على خطر ما بعده ليصغي اليه السامع [٢].

ويطالعنا التوازي التركيبي في معرض الحديث عن الآيات الكونية الدالة على كمال قدرة الله و وحدانيته و المؤكدة على حقيقة البعث و النشور و من هذه الآيات إحياء الأرض الميتة بالنبات و اخراج الحب منها ، و خلق بساتين من أنواع النخيل و العنب فيها[٣] و تفجير عيون الماء فيها .

يقول تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ، وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ [٤] فالتوازي التركيبي حاصل بين بنى الجمل المعطوفة وهي ﴿أخرجنا منها حبا ، وجعلنا فيها جنات ، وفجرنا فيها من العيون﴾ .

ويمكن تسمية هذا النوع من التوازي بالتوازي المتماثل ... والذي يحصل فيه تماثل تركيبي بين الجمل المتوازية كما تكون النواة التركيبية متمحورة في كل الجمل المتوازية [٥] . ويمكن توضيح هذا التوازي بالخطاطة آلاتية:-

فعل ماض + ضمير متصل في محل رفع فاعل	+ جار و مجرور + مفعول به او شبه جملة

(١) الاتقان في علوم القرآن : ٣ / ١٣٣ ، البرهان في علوم القرآن : ٤٠٥/٣.

(٢)الكشاف : ٤ / ١٣ ، ينظر : التحرير و التنوير : ٢٣ / ٨

(٣)الجامع لاحكام القرآن : ١٥ / ٢٥

(٤)سورة يس : الآيتان : ٣٣ –٣٤

(٥) سورة الكهف ، دراسة اسلوبية : ٨٦.

وقد استأثرت الواو بدور العاطف الجملي بين هذه البنى المتوازية ونلاحظ هنا اصول مخالفة للتركيب اللساني تتمثل في تقديم (الجار والمجرور) ، بوصفها متممات تركيبية على المفعول به اذ شكلت تراكمية هذا الأجراء الأسلوبي انزياحا تركيبيا واضحا في نسق هذه البنى المتوازية ، كما يظهر دور التعالق التركيبي من خلال الضمير (نا) في البنى الثلاث المتوازية في (أخرجنا ، جعلنا ، فجرنا) الذي يحيل الى الله تعالى ، لبيان عظمة قدرته سبحانه وتعالى وتناهي هذه العظمة وتعاليها[1] ولاسيما ان الغرض من ذكر (آية الارض) وما بعدها من الآيات هو التدليل على قدرته سبحانه وتعالى والتنبيه على إحياء الموتى [2] لتاكيد حقيقة البعث ، أي ان النواة الدلالية قد تحكمت نوعا ما في تشكل هذا التوازي على هذه الشاكلة اذ انها شغلت البنى المتوازية .

ونرصد التوازي التركيبي في معرض الايات الدالة على انفراده تعالى بالخلق والتدبير ومنها دقة النظام الكوني الذي يحكم الاجرام الهائلة و يرتب الظواهر الناشئة عن نظامها الموحد الدقيق [3] في قوله تعالى : ﴿لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [4].

([1]) نظم الدرر:١٦ / ١٢٤ ، ١٢٥ .

([2]) الجامع لاحكام القرآن : ١٥ / ٢٥ .

([3]) التحرير و التنوير : ٢٣ / ٢٣ ،و ينظر: في ظلال القران:٧/٢٥.

([4]) سورة يس ، الآية:٤٠.

فالتوازي متحقق بين جملتي (لا الشمس، ولا الليل) بصيغة (لا النافية المهملة + مبتدأ مرفوع) الا ان التوازي غير متكافئ ، اذ ان الخبر في الجملة الأولى جملة فعلية ، وفي البنية الثانية مفرد[١] . والافتتاح بحرف النفي في الجملتين له مسوغه الاسلوبي وهو تقرير النفي في ذهن السامع (المتلقي) يضاف الى ذلك اجراء اسلوبي اخر و هو الاخبار عن المسند إليه (الشمس) بالمسند الفعلي لإفادة تقوي حكم النفي[٢].

واذا كان التوازي غير متكافيء بسبب انشطار بنيتيه الا ان هناك ثابتاً لا يتغير و هو مسلمة (النفي) نفي ادراك الشمس للقمر ونفي سبق الليل النهار[٣] . فضلا عن نفي محذوف والتقدير : ولا القمر يدرك الشمس ولا النهار سابق الليل[٤]. وبتراكم هذه الإجراءات الأسلوبية مع التوازي المبني على المقابلة بين الجملتين[٥] يتجلى التكثيف الدلالي في السياق.

ومن تمظهرات التوازي التركيبي ما يتجلى في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ،

---

(١) ينظر : الجدول في إعراب القرآن:١٢/١٢ .

(٢) ينظر التحرير والتنوير:٢٤/٢٣.

(٣) والمعنى – كما قال الطبري: لا الشمس يصلح لها ادراك القمر فيُذهب ضوؤها نوره فتكون الأوقات كلها نهارا لا الليل فيها ولا الليل يسبق النهار حتى يدركه ، فيذهب بضياءه فتكون الأوقات كلها ليلا ، ينظر جامع البيان في تفسير القران : ٢٣ / ٦ .

(٤)التحرير و التنوير : ٢٣ / ٢٥

(٥)ينظر : البرهان في علوم القران : ٣ / ٢٨٢ .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ (١).

والتوازي متشكل بين جملتي الشرط ويمكن اختزاله بالخطاطة آلاتية:-

اداة شرط + فعل ماض مبني للمجهول (فعل الشرط) + جار ومجرور+ فعل امر + ضمير متصل في محل رفع فاعل + ... + فعل ماض (جواب الشرط).

ويلاحظ ان هذه النواة التركيبية قد شغلت البنية الثانية كاملة و هذا ما لم يحصل في البنية الاولى اذ ان البنية الاولى قد تحققت فيها تقنية اسلوبية وهي الافتقار . اذ انها افتقرت الى ركن رئيس من أركانها وهو (جواب الشرط المحذوف) . وتتجسد فاعلية اسلوب الحذف في خلق توقعات غير منتظرة للمتلقي ، ويكمن دور هذا المتلقي في البحث عن تخريجات او تأويلات لما يجده من حذوفات سعيا الى تأويلها وتتميمها والوقوف على أبعادها(٢). وقد جاز الحذف لدلالة السياق عليه (٣) في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (٤) بيد ان الحذف كان له مسوغه الأسلوبي لا سيما ان المحذوف هو من جواب الكفار للرسول – صلى الله عليه وسلم – او تختلف إجاباتهم منهم من يعرض ويسكت ومنهم من يستكبر ويسب و منهم من يقاتل

---

(١) سورة يس الايات : ٤٥ – ٤٧ .

(٢) ينظر : جماليات الأسلوب والتلقي ، دراسات تطبيقية ، موسى ربابعة:١٠٢،٩٩.

(٣) مدارك التنزيل و حقائق التأويل :٩/٤.

(٤) سورة يس ، الآية ٤٩ .

... فحذف الجواب ليذهب الذهن كل مذهب في تقدير هذا المحذوف [1] و الى جانب الافتقار في هذا التوازي تقنية التعالق الضمائيري في (لهم ، ايديكم ، خلفكم ، لعلكم ، لهم ، رزقكم ، قال) فالضمير عائد على جماعة الكفار وما يسهم في ابراز هذا التوازي التركيبي). ونرصد تشكلا اخر للتوازي التركيبي ضمن السياق الشرطي ايضا في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ، وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [2].

الآيتان تسيران على وتيرة واحدة ويمكن اختزال هذا التوازي على النحو آلاتي :

أداة شرط + فعل مضارع (فعل الشرط) + لام واقعة في جواب الشرط + فعل ماض (جواب شرط) + ضمير متصل (فاعل) + ضمير متصل مفعول به .

فالنوات التركيبية تلف البنية الثانية بتمامها ، و الذي سوغ لنا جعلها لنا نواة تركيبية ، هو ان البنية الاولى قد زيد فيها حرف الاستعلاء (على) للدلالة على تمكن الطمس وإلا فان الطمس يتعدى بنفسه [3] . ويتميز اسلوب الشرط دوما بالحيادية . اذ انه يعلق الدلالة و يشرطها بحصول الجواب او عدم حصوله أي ان هذه الحيادية واقعة بين السلب والإيجاب[4]. ولما كانت (لو) حرف امتناع لامتناع تضمنت معنى النفي ، اذ ان

---

(1) تفسير سورة يس : ١٤٤ .

(2) سورة يس ، الآيتان : ٦٦ ، ٦٧ .

(3) التحرير و التنوير : ٢٧ / ٥١ .

(4) ينظر : سورة الكهف دراسة اسلوبية : ٩٨ .

الله تعالى لم يشأ ذلك ليتركهم على شأنهم استدراجا و تمييزا بين الخبيث و الطيب وتبصرة للمؤمنين وإرشادهم الى الصبر[1] فدلالة السلب في انتقاء حصول ذلك. ودلالة الإيجاب تكمن في تعليل ذلك النفي لحكمة ارادة سبحانه و تعالى . وهذه الدلالة قد لفت بنيتي التوازي فكونت بينهما رباطا معنويا في كون كل منها تتحدث عن مظهر من مظاهر حكمته وقدرته عز وجل بالإضافة الى الرباط اللفظي الناتج عن التركيب.

وعلى ذلك يمكن القول ان التوازي التركيبي شكل بؤرة اسلوبية تجمعت حولها معظم الظواهر والإجراءات الأسلوبية الأخرى ، وقد تنوعت أنماطه وتعددت تشكلاته تماشيا مع ما تقتضيه الدلالة ومن ثم ادى دوره الفاعل في شد جزيئات النص وتحقيق نوعا ما من الوصل أسهم في تحقيق السمة الوصلية للنص.

([1]) التحرير و النوير : ٢٣ /٥١